الخطبة الخامسة والأربعون

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾

[محمد: 47/ 11]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي»، قال أبو جعفر: من رزقهن عند موته لم تمسه النار.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 2/ 257].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 18/ 17]، فالله سبحانه وتعالى هو الولي.

- من آثار هذه الولاية:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: 22/ 38]. أنت في حماية الله تعالى وأنت تحت لوائه وتحت كنفه يدافع عنك، يحميك، يدفع عنك الشرور، يقويك، يؤيدك، قال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري - يا للقوة ويا للمنعة.

2- توفيق الله تعالى له، وإعاذته مما يخاف ويحذر، استجابة دعائه، نصرته، قال تعالى في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

3- رفع الخوف والحزن عنه في الدنيا والآخرة، فقد وعد سبحانه وتعالى فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 10/ 62 - 63].

قال ﷺ: «إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم؟ لعلنا نحبهم»، قال ﷺ: «هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إن خاف الناس، ولا يحزنون إن حزن الناس ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 10/ 62]»، صحيح ابن حبان.

4- الهداية والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه. قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 64/ 11]، يرضى بما قسم الله وقدَّر، ويسترجع عند المصيبة، ولا يتسخط، يهديه لفعل الخيرات، يهديه لعمل الصالحات، لأنه رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا

وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: 47/ 17].

5- البشرى لهم عند قبض الروح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: 41/ 30 - 31]، بشرى عند النزع، بشرى عند الألم، طمأنينة عند الخوف، سعادة بعد اضطراب، أمان وتثبيت.

6- البشرى لهم في القبر، إذا وسد الميت في قبره وجاء الملكان، قال ﷺ: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد» مسند الإمام أحمد.

7- تفريج الكربات، والخروج من المآزق أيًا كانت.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 65/ 2 - 3].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 4].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 5].

وقال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 12/ 57].

وقال تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 169].

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: 41/ 18].

- ولاية الله للعبد بحسب ما فيه من التقوى؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: 22/ 78].

كان على الزبير بن العوام رضي الله عنه دين كثير، وحينما أحس بقرب موته نادى

ابنه عبد الله وأخبره بِدَيْنِهِ، وقال له: اقضِ عني ديني، فقال عبد الله: يا أبت ومن أين آتي بكل هذه الأموال لأقضي عنك دينك؟! فقال الزبير: يا بني إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي. فقال عبد الله: والله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبتِ من مولاك؟ قال الزبير: الله، قال عبد الله: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه دينه. فيقضيه الله تعالى. رواه البخاري.

ينال العبد ولاية الله تعالى بتحقيق العقيدة الصحيحة، والإيمان الصحيح بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وترك البدع والضلالات، والتقوى والخوف من الله تعالى، والعمل الصالح؛ لأن الشرط الذي شرطه الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 10/ 63].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 18/ 110].

من عمل هذا نال عهد الله تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 45/ 19].

8- محبة الله تعالى له وأمره ملائكته بمحبته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فقال: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» متفق عليه.

9- النور التام يوم القيامة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 57/ 12].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا

وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: 66/ 8]، اللهم آمين.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: إن أبا سفيان قال يوم أحد: «أُعْلُ هُبَلْ» فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجلّ، قال أبو سفيان: «لنا العُزّى ولا عُزّى لكم» فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: وما نقول؟ قال ﷺ: قولوا: «الله مولانا ولا مولى لكم». وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد: 47/ 11].

10- كن مع الله يكن الله معك، اذكره يذكرك، أحسن الظن به لن يخيبك، قال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» البخاري (2694) - مسلم (2675).

وحتى نكون مع الله يجب الابتعاد عن الشيطان، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه وتعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: 24/ 21].

ما معنى الولي؟

الولي هو النصير الذي ينصر الله تعالى، ينصر دينه وشريعته، طالب العلم الذي يواظب على طاعة الله تعالى، المخلص في عبادته الذي يرجو الله في عمله، الذي يتحرى السنة في أعماله وعبادته، الذي يخاف الله في السر والعلانية، الذي ينظر إلى الآخرة في أقواله وأعماله ونياته، القريب من الله ومن عباده الصالحين، المحب لله ولرسوله وللمؤمنين.

الولاية نوعان:

ولاية إلهية عامة، تشمل كل الناس، فالله خالق جميع البشر، والله يعطي جميع البشر، الكل متكل عليه في الحياة والرزق وتدبير الأمور وتصريفها.

وولاية خاصة: وهي ولايته وتأييده ونصرته ومعونته وتوفيقه وهدايته وإرشاده للمؤمنين وهي في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 10/ 62 - 63].

والولي هو من يتولى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: 5/ 56].

أي أنه مع الله ومع رسوله ومع المؤمنين يحبهم ويؤازرهم وينصرهم ويدافع عنهم ويَتَّبِعُ خُطَاهم ويدافع عن شرع الله وسنته بيده وبلسانه وبماله، يحب ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، كما قال عليه الصلاة والسلام من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»حم - حديث حسن.

والولي يشعر بلذة الإيمان، لأن الرسول ﷺ قال من رواية أنس بن مالك: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه.

حلاوة الإيمان، لذه في القلب وانشراح في الصدر، وسعادة وسرور وغبطة يجدها المؤمن، وهي قضية حِسِّيَّة محضة، عبر عنها رسول الله بلذة مادية حتى تتقرب الصورة إلى الأذهان، لأن الذوق باللسان.

وحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» رواه مسلم.

يرضى بالله ربـًا وخالقـًا ومشرعـًا ورحيمـًا وكريمـًا، يرضى بالإسلام وشرائعه وأحكامه وحدوده، ويرى فيها الخير المحض والسعادة المحضة في تطبيقها ويرضى برسول الله ﷺ وأحكامه وسنته ولا يحيد عنها ولا يرغب عنها، ولا يرضى بغيرها.

11- ومن أكبر البشارات للولي أنه مجاب الدعوة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره» رواه مسلم.

فإذا أردت أن تكون مجاب الدعوة كن من أولياء الله الصالحين، لأن الرسول ﷺ قال لسعد بن معاذ رضي الله عنه: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» طس.

أي: خف من الحلال والحرام، وتحرَّ الطيب الحلال والمكسب الحلال، بمعنى آخر: طبق شرع الله وابتعد عن الحرام كله في حياتك، وأطب مطعمك هي خصلة من الخصال، فإذا طبقت فيها الحلال كنت قادراً على تطبيقه في بقية الخصال.

والعمل الصالح خصاله كثيرة، فالصلاة والصيام والصدقة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، وقول الحق، وتعليم الناس، وكل ما هو مرضي لله تعالى ومرضيٌ لرسوله ﷺ بنية خالصة وتحقيقـًا للسنة فهو من العمل الصالح الذي يرضاه الله ورسوله، ومن الخصال المهمة قراءة القرآن، ولكن المشكلة هي أننا نقرأ القرآن بدون فهم وبدون تدبر وصار الاعتقاد عندنا أن قراءة القرآن بركة وتزداد الحسنات بالقراءة وأنا -والعياذ بالله- لا أشكك بهذا ولكن أمر الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 47/ 24]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 4/ 82].

فالتدبر هو العبرة من القراءة، التدبر هو الفهم، التدبر هو التعلم، التدبر هو الإذعان والتطبيق والطاعة، وليس القراءة فقط والقلب والفكر ساه لا يدري ما يقرأ،

وقد مثَّل الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله ذلك بقوله: «أرأيت لو أن القيادة العسكرية في الحرب أرسلت رسالة إلى ضابط في المقدمة فيها الأوامر والنواهي، فأخذ هذا الضابط الرسالة وقبّلها ووضعها على رأسه احتراماً لمن أرسلها ثم قرأها من غير تدبر ولا فهم ولا طبق ما فيها، فهل هذا يفيده وينصره، أم أنه لمّا رجع سوف يخضع للمحاكمة والعقوبة؟

ما رأيك لو رأينا قاضياً يقرأ القانون مجوداً يضبط مخارج الحروف ويترنم بقراءة القانون ولكن لا يفهمه ولا يحكم به، أيكون هذا قاضياً عادلاً مرجواً في أحكامه وقراراته؟

ولو رأينا رجلاً يقرأ كتاباً ويقضي فيه الساعات ولا يفهم ما فيه ولا يتعظ بما فيه ولا يتعلم منه أية فائدة، فهل قراءته مجدية مفيدة؟ وهكذا القرآن الكريم، علمنا أولادنا قراءته وتجويده ونغماته، وتخريج حروفه، وألقينا باللائمة والنقد على من أخفى مكان الإظهار، ومن أدغم في غير موضعه، وما أتعبنا أنفسنا في فهمه ولا في أحكامه، ولا في معانيه ولا في عظاته، فأين لنا التقوى إذا بعدنا عن فهم كتاب ربنا؟ أين لنا الولاية والقرب من الله تعالى إذا بعدنا عن تدبر وتطبيق كلام ربنا؟ لا بد من فهم كتاب الله وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: 27/ 91 – 92].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم